تفسير سورة
النبأ
﴿عمّ يتساءلون﴾

سُورَةُ النَّبَإِ

ترتيبها ٧٨ — آياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾
وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا
مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ
مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ
أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً
حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾

[بسم الله الرحمٰن الرحيم]
الإملاء على سورة ﴿عمّ يتساءلون﴾

﴿عَمّ﴾ أصله عم ما: أي عن أي شيء ﴿يتساءلون﴾ (١) يعني الكفّار، فإنّهم كان يسأل بعضهم بعضاً ما هذا الذي أتى به محمد: أهو سحر أم جنون، وهم ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾(١) أي قسّموه أقساماً، وعضّوه أعضاء. وسقطت الألف من عمّ(٢) كنظائرها: فيم، ولِمَ، وممّ، وعلام، وإلام، وحتّام(٣).

﴿عن النبأ العظيم﴾ (٢) كلام مستأنف، أي يتساءلون عن النبأ العظيم: وهو القرآن. والنبأ: الخبر، والقرآن إخبار بأمور عظيمة: ﴿قل هو نبأ عظيم﴾(٤).

﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ (٣) كلّ منهم يقول شيئاً كما سبق قوله.

﴿كلّا سيعلمون﴾ (٤) هي إمّا بمعنى حقاً كما قال بعضهم،

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩١.
(٢) في الأصل (عمّا).
(٣) المشكل ٢/٤٤٩، والبحر ٨/٤١٠.
(٤) سورة ص: الآية ٦٧.

أو أنها زجر لهم عن التساؤل عن القرآن، أي لا يتساءلون عنه، فإنّ أمره أظهر من أن يسأل عنه.

﴿ثمّ كلاّ سيعلمون﴾ ﴿٥﴾ تأكيد بالتكرار. وفي سورة ﴿ألهاكم التكاثر﴾ وقع هذا بلفظ ﴿سوف﴾[1] وهي أشدّ تراخياً من السين.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ألم نجعلِ الأرضَ مِهاداً﴾ ﴿٦﴾ هذا إنكار عليهم ترك النظر في هذه الأشياء الدالة على صانعها، وذلك يقتضي وجوب النظر على المكلّفين. ﴿قل انظروا﴾[2] ﴿أوَ لم يتفكّروا﴾[3]، ﴿أوَ لم ينظروا﴾[4] ونحو ذلك يدل عليه. (والمهاد) الفراش الوطيء الذي لا أذى في افتراشه. وجعلُ الأرض مهاداً: تصييرها كذلك، فإنها في أول خلقها كانت رابية مجتمعة لا يستقرّ الخلق عليها، فدحيت حتى صارت فراشاً وبساطاً ﴿لتسلكوا منها سُبُلاً فِجاجاً﴾[5].

قوله عز وجل: ﴿والجبالَ﴾ عطفاً على ﴿الأرض﴾ أي ونجعل الجبال ﴿أوتاداً﴾ ﴿٧﴾ أي نمسكها أن تميد، كما تمسك الأوتاد البيت أن يميل، وذلك لأن الله عزّ وجلّ لما خلق الأرض على الماء اضطربت ومادت، فخلق عليها الجبال فسكنت، فقالت الملائكة: ربّنا، هل خلقت شيئاً أشدّ من الجبال؟ قال: نعم،

(١) في الآيتين ٣، ٤: ﴿كلاّ سوف تعلمون. ثم كلاّ سوف تعلمون﴾.
(٢) سورة يونس: الآية ١٠١.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٤.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٨٥.
(٥) سورة نوح: الآية ٢٠.

الحديد يقطع الجبال. قالوا: فهل أشدّ من الحديد؟ قال: نعم، النار تذيب الحديد. قالوا: فهل أشدّ من النار؟ قال: نعم، الماء يطفىء النار. قالوا: فهل أشدّ من الماء؟ قال: نعم، الريح تنشّف الماء. قالوا: فهل أشدُّ من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم يتصدّق بيمينه فلا تدري شماله[1].

قوله عز وجل: ﴿وَخَلَقْنَاكُم أزواجاً﴾ ﴿٨﴾ أي أصنافاً، العربيّ والعجمي ونحوهما، أو: خلقناكم ذكورا وإناثاً صالحين للازدواج، وفي ذلك نفع لكم ورحمة[2].

قوله عزّ وجلّ: ﴿وجعلْنا نومَكم سُباتاً﴾ ﴿٩﴾ أي قاطعاً لتعبكم، ومحصّلاً لراحتكم، من قولهم سبت رأسه: إذا قطعه، ووجه الجعل فيه أن النوم قد يكون تغييباً وقطعاً للتعب وغير ذلك، فلما جعل موضوعه قطع التعب صار ذلك جعلاً وتصييراً ونقلاً[3].

قوله عز وجل: ﴿وجعلْنا النهارَ معاشاً﴾ ﴿١١﴾ أي محلاً للمعاش، ووجه الجعل فيه نحو ما سبق ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾[4].

---

(١) في فتح الباري ٢/١٤٧ أن في مسند الإمام أحمد مرفوعاً: (إن الملائكة قالت: يا ربّ، هل من خلقك شيء أشد من الجبال...).

(٢) قال مكي ـ المشكل ٢/٤٥٠: ﴿أزواجاً﴾ نصب على الحال، أي: ابتدعناكم مختلفي الألسنة والألوان وغير ذلك، وذكوراً وإناثاً، وقصاراً وطوالاً. وخلق بمعنى ابتدع فلذلك لا يتعدّى إلّا إلى مفعول واحد.

(٣) لم يشرح المؤلف الآية العاشرة ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾.

(٤) سورة يونس: الآية ٦٧.

قوله عز وجل: ﴿وبَنَيْنا فوقَكم سَبْعاً شِدَاداً﴾ (١٢) هي السماوات السبع. و ﴿شداداً﴾ جمع شديدة في البناء والارتفاع والصنعة والإتقان ﴿والسماء بَنَيْناها بأَيْدٍ﴾ وذكر الله عز وجل ها هنا الأرض قبل ذكر السماء، وفي «الذاريات» وغيرها بالعكس[١]، وقد اختلف العلماء في أيهما خلق أوّلاً، على قولين.

قوله عز وجل: ﴿وجعلْنا﴾ أي خلقنا ﴿سِراجاً وهّاجاً﴾ (١٣) يعني الشمس. والوهّاج: ذو الوهج وهو الحرّ، والوهج والهوج يلتقتان على معنى مشترك وهو الحدّة أو نحوهما[٢]، ويحتمل معنى الجعل في السراج لصلاحيتها للإسراج وغيره، فتخصيصها بالإسراج[٣] فيه معنى النقل عن موضوع إلى موضوع.

قوله عز وجل: ﴿وأَنْزَلْنا من المُعْصرات ماءً ثجّاجاً﴾ (١٤) المعصرات: السحائب، واشتقاقها إما من العصر، لانعصار الماء منها، أو من قولهم: جارية مُعْصِر أي قاربت البلوغ، إشارة إلى قرب حدوث السحائب، فيكون غالباً أكثر ماء. والثّجّاج «فعّال» من الثجّ، وهو الصبّ، وفي الحديث: «خير الحجّ العجّ والثجّ»[٤]. يعني صبّ الدماء وإسالتها لتخرج، أي أنزلنا الماء ﴿لنُخْرِجَ به حبّاً ونباتاً. وجناتٍ ألفافاً﴾ (١٥)، (١٦) أي ملتفّ بعضها ببعض و ﴿ألفافاً﴾ يحتمل أنه جمع لِفّ، ويحتمل أنّه مفرد

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٤٧.

(٢) ينظر مقاييس اللغة ٦/١٧، ١٤٧.

(٣) في الأصل (بالإسراك).

(٤) في الترمذي ـ كتاب الحج ٣/١٧٥ أن النبي ﷺ سئل: أي الحج أفضل؟ فقال: «العجّ والثجّ» ومثله في ابن ماجه ـ المناسك ٢/٩٧٥.

من باب رمح أفصاد، وثوب أخلاق، وبرمة أعشار، وجنّة ألفاف. والخارج من الأرض إما شجر أو نبات، والنبات إما مقصود الحبّ أو لا، وقد جُمعت في قوله عز وجل: ﴿حبّاً ونباتاً﴾ أي غير ذي حبّ مقصود وجنات.

﴿إنّ يومَ الفصل كان مِيقاتاً﴾ ﴿١٧﴾ هذا تنبيه على الاستدلال بإخراج النبات من الأرض على البعث، لذكره في سياقه، و﴿يوم الفصل﴾ يوم يُفصل فيه بين الخلق. (والميقات) الوقت يُجمع فيه الخلق، ﴿وكان﴾ يعني في علم الله عز وجلّ، إذا كان بمعنى يكون، وعُبّر عنه بصيغة الماضي إشعاراً بتحقق وقوعه.

﴿يوم يُنْفَخُ في الصُّورِ فتأتون أفواجاً﴾ ﴿١٨﴾ ﴿يوم﴾ بدل من ﴿يوم الفصل﴾[١] وتقديره: إن يوم النفخ في الصور. و﴿الأفواج﴾ الجماعات، واحداها فوج ﴿كُلَّما ألقي فيها فوج﴾[٢] ومقلوبة جوف، وفيه معنى الاجتماع، فإن قلت: كيف الجمع بين هذا وبين ﴿يصدر الناسُ أشتاتاً﴾[٣] أي فرادى، لأنّه من الشتات وهو الافتراق؟ فالجواب: أنّه يجوز أن يكونوا حال خروجهم من القبور أشتاتاً، بدليل ﴿يخرجون من الأجداث كأنّهم جراد مُنْتَشر﴾[٤] وبعد ذلك يتجمّعون أفواجاً، بدليل ﴿..... كأنهم

---

(١) المشكل ٢/٤٥٠، والعكبري ٢/٢٧٩، والبحر ٨/٤١٢.

(٢) سورة الملك: الآية ٨.

(٣) سورة الزلزلة: الآية ٦.

(٤) سورة القمر: الآية ٧.

إلى نُصُب يوفِضون﴾[1] والأشخاص الكثيرة إذا كان مقصودُهم واحداً جاءوه مجتمعين، يدل عليه أنّه عزّ وجلّ قال: ﴿فتأتون أفواجاً﴾ ولم يقل فيخرجون أفواجاً، فحصل من هذا أن انفرادهم عندَ خروجهم، وصدورهم عن القبور، واجتماعهم عند وصولهم إلى المقام المشهود أو قريباً منه.

﴿وفُتحت السماءُ فكانَت أبواباً﴾ (١٩) أي وتفتح عطفاً على ﴿يُنفخ﴾ مستقبل على مستقبل، وتشديد ﴿فتّحت﴾[2] يناسب جمع الأبواب لإفادته التكثير. ﴿فكانت﴾ أي صارت، وهذا في معنى ﴿ويوم تشقّقُ السماءُ بالغمام﴾[3] وهل السماء المفتحة أبواباً هذه أو بدلها، كل محتمل، وتفتح أبوابها لنزول الملائكة، ويقال: إنّ المَجَرَّةَ شَرَج السماء، أي بابها المُشْرَج، يعني المسدود.

﴿وسُيِّرَت الجبالُ فكانت سراباً﴾ (٢٠) ﴿ويومَ نُسَيرُ الجبال﴾[4] ﴿وترى الجبالَ تحسَبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب﴾[5]، ﴿فكانت هباءً مُنْبَثاً﴾[6]، ﴿فقُلْ ينسِفُها ربّي نسفاً﴾[7] أي صارت

(١) في الأصل (مهطعين إلى الداعي كأنّهم. . .) وفي سورة المعارج: الآية ٤٣: ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون﴾ وفي سورة القمر: الآية ٨: ﴿مهطعين إلى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عَسِر﴾.

(٢) قراءة الكوفيين ـ عاصم وحمزة والكسائي ﴿وفتحت﴾ بالتخفيف، وسائر السبعة بالتشديد. السبعة ٦٦٨.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٢٥.

(٤) سورة الكهف: الآية ٤٧.

(٥) سورة النمل: الآية ٨٨.

(٦) سورة الواقعة: الآية ٢٦.

(٧) سورة طه: الآية ١٠٥.

رقيقة الجرم لنسفها وبسّها، سريعة الحركة لجريها، فصارت كالسراب. والحكمة في تسيير الجبال وضعها في وِهاد الأرض لتعتدل فتصير بارزة ﴿لا ترى فيها عِوَجاً ولا أَمْتاً﴾[1].

قوله عزّ وجل: ﴿إنّ جهنّم كانت مِرصاداً ﴿٢١﴾﴾ أي مُرصدة لأهلها، وهم الطاغون ونحوهم.

والمآب[2]: المرجع، أي يؤولون ويرجعون إليها، وكانت ـ يعني في علم الله عز وجل ـ أو ستكون و ﴿الطاغون﴾ جمع طاغٍ: وهو المتجاوز حدّ ما ينبغي، ومنه: ﴿إنّا لمّا طغى الماء﴾[3]، و ﴿فرعون إنّه طغى﴾[4] واللام في (للطاغين) يجوز تعلّقها بـ ﴿مرصاداً﴾ وبـ ﴿مآباً﴾ وبأيهما علّقت قدّرت في الآخر، أو حذفت اقتصاراً لوضوح الأمر[5].

﴿لابثين﴾ ماكثين مقيمين ﴿كم لَبِثْتَ﴾[6]، ﴿كم لَبِثْتُم﴾[7]، وهي نصب على الحال من الطاغين، ﴿أحقاباً﴾ جمع حُقُب. وهو ثمانون سنة[8]. وأحقاب جمع قلّة، استعمل مكان جمع الكثرة، لأن مقام هؤلاء فيها لا يتناهى، وظاهر اللفظ يقتضي مقامهم فيها

---

(١) سورة طه: الآية ١٠٧.
(٢) تمام الآيتين ٢٢، ٢٣ ﴿للطاغين مآباً. لابثين فيها أحقاباً﴾.
(٣) سورة الحاقة: الآية ١١.
(٤) سورة طه: الآية ٢٤.
(٥) العكبري ٢/٢٧٩، والبحر ٨/٤١٣.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.
(٧) سورة الكهف: الآية ١٩.
(٨) ينظر معنى الحقب في الطبري ٣٠/٨، والقرطبي ١٩/١٧٨.

ثمانمائة سنة، لأن أكثر جمع القلّة عشرة، وثمانون في عشرة ثمانمائة، ويجوز حمله على مقتضى ظاهره، ويثبت الزائد على ذلك بالدليل المنفصل.

﴿لا يذوقون﴾ في محل نصب على الحال: أي غير ذائقين فيها ﴿برداً ولا شراباً﴾ ﴿٢٤﴾ البرد ضد الحر، وقيل: النوم، لأنّه يبرد ظاهر اليدين لانقباض الحرارة إلى عمقه، وفي الشعر:

فإنْ شِئْتِ حرَّمْتُ النساءَ سواكُمُ   وإن شِئْتِ لم أَطْعَمْ نُقاخاً ولا بَرْدا[1]

والشراب: ما يشرب من ماء وغيره.

﴿إلّا حميماً وغسّاقاً﴾ ﴿٢٥﴾ استثناء متّصل[2] من (شراب) لأن الحميم والغسّاق: ما يعاب بتأتي شربهما، والحميم: المائع الحار. والغسّاق: الصديد والرطوبات السائلة من أهل النار. يقال: غسق الجرح: إذا سال منه ذلك. ونصب ﴿حميماً وغساقاً﴾ على أصل الاستثناء، أو على تقدير: يذوقون جزاء وفاقاً: أي يجزَون بذلك جزاءً وفق جزائهم[3] وقد ثبت بالعيان أن كفر الكفّار، ومعصية العصاة بالفعل منقطعة، وعذابهم في النار مؤبد لا يبيد، وقد أخبر الله عزّ وجلّ أن ذلك وفق ذنوبهم، ومن المعلوم أن المنقطع لا يطابق غير المنقطع حتى تكون وفقاً له، فظهر أن عذابهم المؤبَّد إنّما هو وفق معصيتهم بالقوّة والنيّة والعزيمة، لأنهم كانوا عازمين على أنهم لو عاشوا أبداً لكانوا عاصين.

---

(١) البيت للعرجي - ديوانه ١٠٩، وتفسير غريب القرآن ١٤٦، والبحر ٨/٤١٤، النُقاخ: الماء.

(٢) ينظر المشكل ٢/٤٥١، والبحر ٨/٤١٤.

(٣) في قوله تعالى الآية ٢٦: ﴿جزاءً وِفاقاً﴾: ينظر العكبري ٢/٢٧٩.

قوله عزّ وجل: ﴿إنّهم كانوا لا يرجون حِساباً﴾ (٢٧) هذا تعليل لتعذيبهم، أي عذّبْناهم هذا العذاب لأنهم كانوا لا يرجون: يخافون، ومثله: ﴿لا يَرْجـون لله وقاراً﴾[١] والـرجاء مشتـرك بين الخوف والأمل. والمعنى: كانوا لا يؤمنون به فيخافوه ﴿وكذّبوا﴾ عطف على ﴿كانوا﴾ ﴿بآياتنا كِذّاباً﴾ (٢٨) مصدر كذّب تكـذيباً وكِذّاباً بالتشديد والتخفيف[٢].

﴿وكلَّ شيءٍ أَحْصَيْناه﴾[٣] من باب الاشتغال، نحو ﴿والقمرَ قدَّرْناه﴾[٤] و﴿أحصَيْنـاه﴾ أطقناه كتـابة: أي قـدرنا على كتـابته وضبطه، والظاهـر: عددنـاه وكتبناه، نحـو: ﴿وكلُّ صغيـرٍ وكبيرٍ مُسْتَطَر﴾[٥].

﴿فذوقوا فلن نـزيدكم إلا عـذاباً﴾ (٣٠) أي يقـال لهم: ذوقوا، وهو كناية عن الإحساس بالعذاب، واستُعير له الذوق، لأنّه إحسـاس خـاصّ، وهــذا معنى ﴿وإن يَستغيثـوا يُغـاثـوا بمـاءٍ كـالمُهْلِ﴾[٦]، ﴿كلَّمـا أرادوا أن يخرجـوا منهـا من غمٍّ أُعيـدوا فيها﴾[٧].

قوله عزّ وجلّ: ﴿إنّ للمتّقين مفازاً﴾ (٣١) إما مصـدر فاز

---

(١) سورة نوح: الآية ١٣.
(٢) أي كِذاباً وكِذّاباً. وله مصادر أُخر. القاموس ـ كذب.
(٣) تمام الآية ٢٩: ﴿وكلّ شيءٍ أحصيناه كتاباً﴾.
(٤) سورة يس: الآية ٣٩.
(٥) سورة القمر: الآية ٥٣.
(٦) سورة الكهف: الآية ٢٩.
(٧) سورة الحج: الآية ٢٢.

بمعنى الفوز وإن لم يكن قياساً، أو جمع مفازة كقوله عزّ وجلّ: ﴿وينجّي الله الذي اتّقوا بمفازاتهم﴾[1]. ﴿فلا تَحْسَبَنَّهم بمفازةٍ من العذاب﴾[2] والفوز: البقاء والفلاح.

﴿**حدائق وأعناباً**﴾ ﴿٣٢﴾ بدل من ﴿مفـاز﴾ جمع حـديقة وعنب.

﴿**وكواعِبَ أتراباً**﴾ ﴿٣٣﴾ جمع كـاعِب، وهي التي كَعَب ثدياها: أي ارتفعا، وجمع تِرْب: وهـو القرين، أي هنّ قـرائن متقاربات في السنّ.

﴿**وكأساً دِهاقاً**﴾ ﴿٣٤﴾ أي مملوءة من شراب الجنّة الرحيق وغيره.

﴿**لا يسمعون فيها لغواً**﴾ كلاماً لا فائدة له ﴿**ولا كِـذّاباً**﴾ ﴿٣٥﴾ كَذِباً.

﴿**جـزاءً**﴾ نعت أو بدل من المنصوبات المتقدّمة، أي إنّ للمتّقين جزاءً، كواعب ونحوها، أو تقديره: وجعلْنا ذلك ﴿جزاءً﴾، نصب بعامل مقدّر ﴿**من ربّك**﴾ أي من فضـل ربّك أو مبـدأه. ﴿**عطاءً حساباً**﴾ ﴿٣٦﴾ نعت لما سبق أو بدل. و﴿حسابـاً﴾ أي مُحْسِباً كافياً، من: أحسبني الشيء: إذا كفاني.

﴿**ربِّ السموات**﴾ يجوز جرّ ﴿ربّ﴾ نعتاً لـ ﴿ربّك﴾ ورفعه على إضمار مبتدأ: أي هو ربّ. ﴿**وما بينهما الرحمٰن**﴾ في إعرابه

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٨.

الوجهان[1]. ﴿لا يَملكون منه خِطاباً﴾ ﴿٣٧﴾ فيه احتمالان: أحدهما: لا يملكون تحصيل خطاب منه إلّا بفضله. الثاني: أن بسببه لا يملكون أن يتكلّموا بين يديه، كقوله عزّ وجلّ: ﴿لا يتكلّمون إلّا من أذِنَ له الرحمٰن﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿يومَ يقومُ الرّوحُ والملائكةُ صفاً﴾ يحتمل أن ﴿يوم﴾ ظرف لحصول المفاز، تقديره: إن للمتقين مفازاً يوم يقوم الروح، ويسير هذا إلى معنى: ﴿لا يَحزنُهم الفَزَعُ الأكبر﴾[2] الثاني: أن تقديره: يوم يقوم الروح لا يملكون منه خطاباً. والروح ـ قيل: عالم أخفى من الملائكة، لا تراهم الملائكة كما لا نرى نحن الملائكة، وقيل: هو ملك واحد يقوم صفّاً وحده، والملائكة جميعهم صفّاً[3]. وظاهر الآية أن الرُّوح والملائكة جميعاً صفّ واحد، إلّا أنْ يُراد جنس الصفّ، فتتعدّد الصفوف، نحو: ﴿وجاء ربُّك والملك صفّاً صفّاً﴾[4] ﴿لا يتكلّمون﴾ يحتمل أن المراد الملائكة أو الكفار، أو الجميع، وهو أولى ﴿إلّا من أَذِن له الرحمٰن﴾ يحتمل الإذن القولي بأن يقال له: تكلّم، أو الكوني بأن يُلهم الكلام وييسّرله، وكذلك ﴿من ذا الذي يَشْفَعُ عنده إلّا بإذنه﴾[5]

---

(١) قراءة عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر بخفض ﴿ربّ﴾ وأبو عمرو ونافع وابن كثير برفعها. وقرأ عاصم وابن عامر بخفض (الرحمٰن) ورفعها سائر السبعة. ينظر القراءات وتوجيهها في السبعة ٦٦٩، والكشف ٢/٣٥٩، والمشكل ٢/٤٥٣، والطبري ٣٠/١٤، والعكبري ٢/٢٨٠.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٣.

(٣) الطبري ٣٠/١٥، والقرطبي ١٩/١٨٦، والدر المنثور ٦/٣٠٩.

(٤) سورة الفجر: الآية ٢٢.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

ونحوها. ﴿وقال صواباً﴾ ﴿٣٨﴾ قيل: لا إله إلاّ الله، والأولى حمله على عموم الصواب المستدعي شرعاً، وإن كان لفظ الآية مطلقاً[(١)].

﴿ذلك اليوم الحقُّ﴾ أي الذي يقع فيه الحق والعدل، أو اليوم الثابت الوقوع، من حق يحقّ ﴿فمن شاء اتّخذ إلى ربّه مآباً﴾ ﴿٣٩﴾ هذا صيغته صيغة التخيير، وليس كذلك، إنّما هو ضرب وعيد وتهديد، نحو: ﴿ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[(٢)] أو ضرب تحريض على اتخاذ المثاب، إذ ليست مشيئة الإنسان مستقلة بما يريد منه أمر دين ولا دنيا.

﴿إنّا أنْذَرْناكم عذاباً قريباً﴾ هذا خطاب للكفّار المكذّبين الطاغين. ﴿عذاباً قريباً﴾ بالنسبة إلى إمهال الله عزّ وجل عباده، أو بالنسبة إلى ما علمه بقي من أعمارهم، وإشارة إلى: ﴿وما أمرُ الساعةِ إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب﴾[(٣)].

﴿يومَ﴾ ظرف لوقوع العذاب ﴿ينظر المرءُ ما قدّمت يداه﴾ إما حقيقته، أو جزاءه ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تُراباً﴾ ﴿٤٠﴾ لما عاين من العذاب ﴿يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تُسَوَّى بهم الأرض﴾[(٤)] يقال: إن البهائم بعد حشرها والحكم بينها

---

(١) ينظر الطبري ٣٠/١٦، والقرطبي ١٩/١٨٧، والدر المنثور ٦/٣١٠.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٩.

(٣) سورة النحل: الآية ٧٧.

(٤) سورة النساء: الآية ٤٢.

تصير تراباً، ويؤمر بالكافر إلى العذاب، فحينئذ يتمنّى لو كان بهيمة يصير تراباً.

* * *

هذا آخر الإملاء، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً(*).

(*) وختمت المخطوطة بـ (قال ممليه: أنهاه كاتبه سليمان البغدادي في السابع عشر من رجب سنة إحدى عشرة وسبعمائة بحبس رحبة باب العيد من القاهرة المعزّيّة، حرسها الله وسائر بلاد الإسلام، حامداً لله عز وجل، مصلياً على رسوله عليه السلام).